۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ
وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ
وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

(وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ)تطيع(لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا)قليلا أو كثيرًا(نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ)مثل ما نعطي غيرها مرتين(وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)الجنة فقنتن للّه و رسوله و عملن صالحًا فعلم بذلك أجرهن فَإِنَّهُنَّ فِي مَنَازِلِ ﷺ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَوْقَ مَنَازِلِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي هي أقرب منازل إلى العرش ﴿٣١﴾

(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ)خطاب لهن كلهن(لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ)اللّه فإنكن بذلك، تفقن النساء و لا يلحقكن أحد من النساء فكملن التقوى بجميع وسائلها و مقاصدها

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ)في مخاطبة الرجال أو بحيث يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك و تتكلمن بكلام رقيق يدعو و يطمع من في قلبه مرض(فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ)دغل–مرض شهوة الزنا فإنه مستعد ينظر أدنى محرك يحركه لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم اللّه

فإن ذلك لا تكاد تُميلُه و لا تحركه الأسباب، لـــــــ:–

١–صحـــــــة قلبه٢–و ســــلامته من المرض بخـــــلاف مريـــــض القلب، الذي :–

١–لا يتحمل ما يتحمل الصحيح٢–و لا يصبر على ما يصبر عليه فأدنى سبــب يوجــد يدعوه إلى الحرام:–

١–يجيــــب دعوته ٢–و لا يتعـــاصى عليه

فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد.

فإن الخضوع بالقول، و اللين فيه، في الأصل مباح و لكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه و لهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال أن لا تلينَ لهم القول.

الاعراض الخاصة بالقلب المريض:-

١-و أنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه ٢-و يجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام [فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض] فَلْيَجْتَهِـــــــدْ:-

١- في إضعاف هذا المرض٢-و حسم الخواطر الردية ٣-و مجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، ٤-و سؤال اللّه العصمة و التوفيق ((((و أن ذلك من حفظ الفرج المأمور به)))

و لما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله:-

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)غير غليظ، و لا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع-وَ مَعْنَى هَذَا:-

أَنَّهَا تُخَاطِبُ الْأَجَانِبَ بِكَلَامٍ لَيسَ فِيهِ تَرْخِيمٌ-لَا تُخَاطِبِ الْمَرْأَةُ الْأَجَانِبَ كَمَا تُخَاطِبُ زَوْجَهَا ﴿٣٢﴾

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)اقررن فيها، لأنه أسلم و أحفظ لَكُنَّ-الْزَمْنَ بُيُوتَكُنَّ فَلَا تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ.

وَ مِن الْحَوائِجِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ بِشَرْطِه،كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:سنن أبي داود٥٦٥ -

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَ لَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَ هُنَّ تَفِلَاتٌ(١)»

سنن الترمذي ١١٧٣-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:«الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا ا الشَّيْطَانُ»

-سنن أبي داود:-٥٧٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَ صَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا»

(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ)لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم و لا دين، فكل هذا دفع للشر و أسبابه-إِذَا خَرَجْتُنَّ مِنْ بُيُوتِكُنَّ -

وَ كَانَتْ لَهُنَّ مِشْيَةٌ وَ تَكَسُّرٌ و تغنُّج -فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى}قَالَ:كَانَتْ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وَ إِدْرِيسَ، وَ كَانَتْ أَلْفَ سَنَةٍ وَ إِنَّ بَطْنَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ كَانَ أَحَدُهُمَا يَسْكُنُ السَّهْلَ، وَ الْآخرُ يَسْكُنُ الْجَبَلَ.وَ كَانَ رِجَالُ الْجَبَلِ صِبَاحًا وَ فِي النِّسَاءِ دَمَامَة.وَ كَانَ نِسَاءُ السَّهْلِ صِبَاحًا وَ فِي الرِّجَالِ دَمَامَةٌ، وَ إِنَّ إِبْلِيسَ أَتَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّهْلِ فِي صُورَةِ غُلَامٍ،فَآجَرَ نَفْسَهُ مِنْهُ، فَكَانَ يَخْدُمُهُ وَ اتَّخَذَ إِبْلِيسُ شَيْئًا مِثْلَ الَّذِي يُزَمِّرُ فِيهِ الرِّعاء، فَجَاءَ فِيهِ بِصَوْتٍ لَمْ يسمعِ النَّاسُ مِثْلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَنْ حَوْلَهُ، فَانْتَابُوهُمْ يَسْمَعُونَ إِلَيْهِ وَ اتَّخذُوا عِيدًا يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي السَّنَة، فيتبرَّجُ النِّسَاءُ لِلرِّجَالِ.قَالَ: و يتزيَّن الرِّجَالُ لَهُنَّ، وَ إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ هَجم عَلَيْهِمْ فِي عِيدِهِمْ ذَلِكَ،فَرَأَى النِّسَاءَ و صَبَاحتهن، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ، فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِنَّ، فَنَزَلُوا مَعَهُنَّ وَ ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِيهِنَّ،فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى}(وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ)

و لما أمرهن بالتقوى عمومًا، و بجزئيات من التقوى، نص عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعـــــــة، خصوصًا الصلاة و الزكاة، اللتان يحتاجهما، و يضطر إليهما كل أحد، و هما أكبر العبادات،

---

١ غير متطيبات

و أجل الطاعات و في الصـــلاة:-الإخـــــلاص للمعبودو في الزكـــاة:-الإحســـــان إلى العبيد

ثم أمرهن بالطاعة عمومًا فقال:-(وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ)يدخل في طاعة اللّه و رسوله كل أمر أمرًا به أمر إيجاب أو استحباب(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ)بأمركن بما أَمَرَكُنَّ به، و نهيكن بما نهاكُنَّ عنه

(لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ)الأذى و الشر، و الخبث يا(أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣)نفوسكم

(وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)يمتنُّ عَلَيْهِنَّ بِذَلِكَ و المراد بآيات اللّه، القرآن.

(وَٱلْحِكْمَةِ)أسراره و سنة رسوله و أمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، و ذكر معناه، بتدبره و التفكر فيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و ذكر العمل به و تأويله.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا)ذَا لُطفٍ بِكُنَّ إِذْ جَعَلَكُنَّ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تُتْلَى فِيهَا آيَاتُهُ وَ الْحِكْمَةُ هى السُّنَّةُ لَطِيفٌ بِاسْتِخْرَاجِهَا (خَبِيرًا)بكنَّ إِذِ اخْتَارَكُنَّ لِرَسُولِهِ أَزْوَاجًا-خَبِيرٌ بِمَوْضِعِهَا٣٤

و من معاني (اللطيف) :-

١-الذي يسوق عبده إلى الخير٢-و يعصمه من الشر بطرق خفية لا يشعر بها ٣-و يسوق إليه من الرزق ما لا يدريه ٤-و يريه من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات

*الصحيح المسند من أسباب النزول:سنن الترمذي ٣٢١١ - عَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَ مَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ
{إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ}[الأحزاب: ٣٥]الآيَةَ

(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ)و هذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها(وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ) و هذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب و أعماله-دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ وَ هُوَ أَخَصُّ مِنْهُ لِقَوْلِهِ {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الْحُجُرَات:١٤]
وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤْمِنٌ" فَيَسْلُبُهُ الْإِيمَانَ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ كُفْرُهُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ،فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَخَصُّ مِنْهُ (وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ)المطيعين للّه و لرسوله-الْقُنُوتُ: - هُوَ الطَّاعَةُ فِي سُكُونٍ،فَالْإِسْلَامُ بَعْدَهُ مَرْتَبَةٌ يَرْتَقِي إِلَيْهَا، ثُمَّ الْقُنُوتُ نَاشِئٌ عَنْهُمَا.

(وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ) في مقالهم و فعالهم-هَذَا فِي الْأَقْوَالِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ خَصْلَةٌ مَحْمُودَةٌ

صحيح البخاري٦٠٩٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَ إِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ،وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا.وَ إِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ،وَ إِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»

(وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ)على الشدائد و المصائب-هَذِهِ سَجِيَّةُ الْأَثْبَاتِ، وَ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْمَقْدُورَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ،وَ تَلَقِّي ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَ الثَّبَاتِ وَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى،

أَيْ: أَصْعَبُهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ أَسْهَلُ مِنْهُ وَ هُوَ صِدْقُ السَّجِيَّةِ وَ ثَبَاتُهَا.

(وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ)في جميع أحوالهم،خصوصًا في عباداتهم، خصوصًا في صلواتهم

الْخُشُـــوعُ:- السُّكُونُ وَ الطُّمَأْنِينَةُ، وَ التُّؤَدَةُ وَ الْوَقَارُ وَ التَّوَاضُعُ

وَ الْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَ مُرَاقَبَتُهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ:اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"

(وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ)فرضًا و نفلا -الصَّدَقَةُ:هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ الْمَحَاوِيجِ الضُّعَفَاءِ،

الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ وَ لَا كَاسِبَ،يُعْطَوْنَ مِنْ فُضُولِ الْأَمْوَالِ طَاعَةً لِلَّهِ، وَ إِحْسَانًا إِلَى خَلْقِهِ،

وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" فَذَكَرَ مِنْهُمْ: "و رجل تصدق بصدقة فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"

وَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: ***سنن الترمذي ت شاكر :-٦١٤ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ

(وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ)شمل ذلك الفرض و النفل-وَ لَمَّا كَانَ الصَّوْمُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى كَسْرِ الشَّهْوَةِ -

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:صحيح البخاري ١٩٠٥ - عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَ أَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢)-نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ بَعْدَهُ:-

(وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ)عن الزنا و مقدماته-عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ إِلَّا عَنِ الْمُبَاحِ كقوله

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}المؤمنون: ٥-٧]

(وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ)في أكثر الأوقات خصوصًا:-

أوقات الأوراد المقيدة كالصباح و المساء و أدبار الصلوات المكتوبات

مسلم:-(٢٦٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»قَالُوا: وَ مَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:«الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً، وَ الذَّاكِرَاتُ

(أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا)لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه ٣٥

---

٢ العزوبة: العزب من لا زوج له والعزبة من لا زوج لها أي خاف أن يقع في الزنا لعدم الزواج وبعده عنه. (الباءة) هي في اللغة الجماع والتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح وقيل المراد بالباءة هنا مؤن الزواج. (أغض للبصر) أدعى إلى غض البصر.(أحصن للفرج) أدعى إلى إحصان الفرج أي حفظه من الزنا.(وجاء) قاطع للشهوة

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ
وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ
وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ
وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) لا ينبغي و لا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا:-

١-الإســـــراع في مرضاة اللّه و رسوله٢-و الهـــــرب من سخط اللّه و رسوله

٣-و امتثـــــال أمرهما٤-و اجتنــــــاب نهيهما فلا يليق بمؤمن و لا مؤمنة

(إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا)من الأمور و حتَّما به و ألزما به

(أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ)أي الخيـــار هل يفعلونه أم لا؟فليعلم المؤمن و المؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه و بين أمر اللّه و رسوله

كقوله{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥]

(وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا)

بَيِّنًا لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة اللّه، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم﴿٣٦﴾

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ)بالإسلام [و متابعة الرسول]

(وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ)بالعتق حين جاءك مشاورًا في فراقها:وَ كَانَ سَيِّدًا كَبِيرَ الشَّأْنِ جَلِيلَ الْقَدْرِ، حَبِيبًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
يُقَالُ لَهُ:-الحِبّ، وَ يُقَالُ لِابْنِهِ أُسَامَةَ: الحِبّ ابْنُ الحِبّ
وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَدْ زَوّجه بِابْنَةِ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ - فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ أَوْ فَوْقَهَا، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا،فَجَاءَ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفقلت له ناصحًا له و مخبرًا بمصلحته مع وقوعها في قلبك:-

(أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ)لا تفارقها و اصبر على ما جاءك منها(وَٱتَّقِ ٱللَّهَ)تعالى في أمورك عامة و في أمر زوجك خاصة، فإن التقوى، تحث على الصبر، و تأمر به.

(وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ)و الذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها ﷺ

*الصحيح المسند من أسباب النزول:صحيح البخاري ٤٧٨٧ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ:أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} [الأحزاب: ٣٧] نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ و زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ

(وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ)في عدم إبداء ما في نفسك (وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ)و أن لا تباليهم شيئًا،

(فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا)طابت نفسه و رغب عنها و فارقها(زَوَّجۡنَٰكَهَا)

مسلم (١٤٢٨) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ» قَالَ:فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَ هِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَ نَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَذْكُرُكِ،قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ، فَقَالَ: وَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَ اللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَ بَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَ اتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَ يَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي،قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ نَزَلَ الْحِجَابُ، قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}[الأحزاب: ٥٣]إِلَى قَوْلِهِ{وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣]

و إنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة و هي:(لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ)

حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك.

-الصحيح المسند من أسباب النزول:-عن ثابت عن أنس قال نزلت في زينب بنت جحش {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا}قال فكانت تفخر على نساء النبيﷺتقول:زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات

-عن أنس بن مالكﷺ قال: لما انقضت عدة زينت بنت جحش قال رسول الله ﷺلزيد بن حارثة ما أجد أحدا آمن عندي و أوثق في نفسي منك ائت إلى زينب فاخطبها علي قال فانطلق زيد فأتاها وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فوليتها ظهري و نكصت على عقبي و قلت يا زينب أبشري إن رسول الله ﷺيذكرك قالت:

ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا}

(لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ)اثم

(فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ)في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنّوْنهم بعد طلاقهن

(إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ)إذا قضوا منهن حاجتهم-و لم يبق له رغبة فيها لتعاليها عليهبشرف نسبها

(وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا)لا بد من فعله، و لا عائق له و لا مانع-وَ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَقَعَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى و حتّمه وَ هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، كَانَتْ زَيْنَبُ فِي عِلْمِ اللَّهِ سَتَصِيرُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ٣٧

(مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٍ)إثم و ذنب(فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ)فِيمَا أَحَلَّ لَهُ وَ أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَزْوِيجِ زَيْنَبَ الَّتِي طَلَّقَهَا دَعِيُّه زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ- قدر له من الزوجات فإن هذا، قد أباحه اللّه للأنبياء قبله

و لهذا قال:(سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ)هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرَهُمْ بِشَيْءٍ وَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ حَرج(وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا)لا بد من وقوعه ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا ٣٨

و هذه سنتهم و عادتهم و أنهم (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ)

فيتلون على العباد آيات اللّه و حججه و براهينه، و يدعونهم إلى اللّه

(وَيَخۡشَوۡنَهُۥ)وحده لا شريك له(وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ)

فإذا كان هذا، سنة في الأنبياء المعصومين الذين وظيفتهم قد أدوها و قاموا بها، أتم القيام و هو:دعـوة الخلق إلى اللّه و الخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور و ترك كل محظور دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا)محاسبًا عباده، مراقبًا أعمالهم و علم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين ٣٩

(مَّا كَانَ)لم يكن الرسول(مُحَمَّدٌ)ﷺ(أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ)

أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من هذا الباب – لا أبوة نسب، و لا أبوة ادعاء

فَإِنَّهُ، ﷺلَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ حَتَّى بَلَغَ الْحُلُمَ فَإِنَّهُ وُلِدَ لَهُ:-الْقَاسِمُ، وَ الطَّيِّبُ، وَ الطَّاهِرُ، مِنْ خَدِيجَةَ فَمَاتُوا صِغَارًا، وَ وُلِدَ لَهُ :-إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ، فَمَاتَ أَيْضًا رَضِيعًا
وَ كَانَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ أَرْبَعُ بَنَاتٍ:-زَيْنَبُ، وَ رُقَيَّةُ، وَ أُمُّ كُلْثُومٍ، وَ فَاطِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ ثَلَاثٌ وَ تَأَخَّرَتْ فَاطِمَةُ حَتَّى أُصِيبَتْ بِهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَهُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

(وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ)أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع،المُهْتَـــــــدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد،الناصح الذي لهم للمؤمنين كأنه أب لهم

(وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا)

قد أحاط علمه بجميع الأشياء و يعلم حيث يجعل رسالاته و من يصلح لفضله، و من لا يصلح ٤٠

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا)يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرًا، مـــــــن:–

تهليل، و تحميد، و تسبيح، و تكبير و غير ذلك مـــــــن:–كـــــــل قول فيه قـــــــربة إلى اللّه

و أقله أن يلازم الإنسان:–أوراد الصباح و المساء و أدبار الصلوات الخمس و عند العوارض و الأسباب ﴿٤١﴾

(وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)أول النهار و آخره لفضلها و شرفها و سهولة العمل فيها-عِنْدَ الصَّبَاحِ وَ الْمَسَاءِ ﴿٤٢﴾

(هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ)هَذَا تَهْيِيجٌ إِلَى الذِّكْرِ-إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُكُمْ فَاذْكُرُوهُ أَنْتُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-
وَ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ :-ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ

(وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ)وَ أَمَّا الصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ:- فَبِمَعْنَى الدُّعَاءِ لِلنَّاسِ وَ الِاسْتِغْفَارِ

(لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ)بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَ ثَنَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ دُعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لَكُمْ يُخْرِجُكُمْ

مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَ الْيَقِينِ(وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ
أَمَّا فِي الدُّنْيَا:-١-فَإِنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَهِلَهُ غَيْرُهُمْ ٢-و بَصّرهم الطَّرِيقَ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ وَ حَادَ عَنْهُ
مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ أَوِ الْبِدْعَةِ وَ أَشْيَاعِهِمْ مِنَ الطَّغَامِ .
٣–و من رحمته بالمؤمنين و لطفه بهم:– أن جعل من صلاته عليهم، و ثنائه، و صلاة ملائكته و دعائهم،

ما يخرجهم من ظلمات الذنوب و الجهل، إلـــى:–نور الإيمـــان، و التـوفيق، و الـعلم، و العمـل،

❍فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين تستدعــــــي منهم :–

١–شكرهـــــا ٢–و الإكثـــــار من ذكر اللّه الذي لطف بهم و رحمهم،

و جعل حملة عرشه، أفضل الملائكة و من حوله، يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا
وَ أَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ:-
١-فَآمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ٢-و أَمَرَ مَلَائِكَتَهُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ

وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَ رَأْفَتِهِ بِهِمْ ﴿٤٣﴾

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾
وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ
ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ
لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

(تَحِيَّتُهُمْ)من الله تعالى(يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ)يوْمَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس:٥٨]

(وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)الْجَنَّة وَ مَا فِيهَا مِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

–و أما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، و أفضل ثواب،و هو:–

١–الفوز برضا ربهم٢–و تحيته٣–و استماع كلامه الجليل٤–و رؤية وجهه الجميل٥–و حصول الأجر الكبير

و لهذا قال: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)﴿٤٤﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ)

-البخاري٤٨٣٨-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ:
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ حِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ،أَنْتَ عَبْدِي وَ رَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ،لَيْسَ بِفَظٍّ وَ لاَ غَلِيظٍ، وَ لاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ وَ لاَ يَدْفَعُ ا لسَّيِّئَةَ بِا لسَّيِّئَةِ، وَ لَكِنْ يَعْفُو وَ يَصْفَحُ، وَ لَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ،بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَ آذَانًا صُمًّا، وَ قُلُوبًا غُلْفًا "

❍الأشياء التي وصف الله بها رسوله محمدًا ﷺ هي المقصود من رسالته و زبدتها و أصولها التي اختص بها:–

١–كونه (شَٰهِدًا) أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير و شر يوم القيامة

شاهدا لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ كقوله(لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[البَقَرَة: ١٤٣]

٢+٣كونه(وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)يستلزم ذكر المبشر و المنذر و ما يبشر به و ينذر و الأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشَّـــــــــر هم:-المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح و ترك المعاصي

و الْمنـــــــــذَر هم:-المجرمون الظالمون لهم النذارة في الدنيا من العقوبات الدنيوية و الدينية

و في الأخـــــــــرى:-بالعقاب الوبيل، و العذاب الطويل.(٤٥)

٤-كونه(وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ)أرسله اللّه يدعو الخلق إلى ربهم و يسوقهم لكرامته و يأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، و ذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه و ذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، و تنزيهه عما لا يليق بجلاله

(بِإِذْنِهِۦ)الله تعالى له في الدعوة و أمره و إرادته و قدره.

٥-كونه(وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)أمرك ظَاهِرٌ فِيمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ كَالشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا مُعَانِدٌ(٤٦)

(وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)(٤٧)

(وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ)في كل أمر يصد عن سبيل اللّه و لكن لا يقتضي هذا أذاهم بل لا تطعهم

(وَدَعْ أَذَىٰهُمْ)فإن ذلك جالب لهم و داع إلى قبول الإسلام و إلى كف كثير من أذيتهم له و لأهله.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ)في إتمام أمرك و خذلان عدوك

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا)تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، و يسهلها على عبده(٤٨)

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)

المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج حيث لا مانعو على أن عليها العدة، بعد الدخول(فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا)دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس كان له عليها عدة و على أن المفارقة بالوفاة، تعتد مطلقًا، لقوله: (ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ) الآية و على أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

(فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)

الْمُتْعَةُ هَاهُنَا أَعَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ نِصفَ الصَّدَاقِ الْمُسَمَّى، أَوِ الْمُتْعَةُ الْخَاصَّةُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَمَّى لَهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} [البَقَرَة: ٢٣٧]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-إِنْ كَانَ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النِّصْفُ

وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا فَأَمْتِعهَا عَلَى قَدْرِ عُسْرِه وَ يُسْرِه، وَ هُوَ السَّرَاحُ الْجَمِيلُ(٤٩)

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ)أعطيتهن مهورهن من الزوجات

و هذا من الأمور المشتركة بينه و بين المؤمنين، فإن المؤمنين كذلك يباح لهم ما آتوهن أجورهن من الأزواج.

(و) كذلك أحللنا لك (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)الإماء التي ملكت (مِمَّآ أَفَآءَ)أنعم(ٱللَّهُ عَلَيْكَ)و أَبَاحَ لَكَ التَّسَرِّي مِمَّا أَخَذْتَ مِنَ الْمَغَانِمِ و قَدْ مَلَكَ:-١-صَفِيَّة ٢-وَ جُوَيْرِيَة فَأَعْتَقَهُمَا و تَزَوَّجهُمَا.

٣-وَ مَلَكَ رَيْحَانَةَ بِنْتَ شَمْعُونِ النَّضْرِيَّة٤-وَ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّة أُمَّ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، ﷺو كَانَتَا مِنَ السَّرَارِي

(وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ)هَذَا عَدْلٌ وَسط بَيْنَ الْإِفْرَاطِ و التَّفْرِيطِ

فَإِنَّ النَّصَارَى:-لَا يَتَزَوَّجُونَ الْمَرْأَةَ إِلَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَيْنَهُ و بَيْنَهَا سَبْعَةُ أَجْدَادٍ فَصَاعِدًا

وَ الْيَهُودُ:-يَتَزَوَّجُ أَحَدُهُمْ بِنْتَ أَخِيهِ و بِنْتَ أُخْتِه فَجَاءَتْ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ بِهَدْمِ إِفْرَاطِ النَّصَارَى فَأَبَاحَ :-

بِنْتَ الْعَمِّ و الْعَمَّةِ، و بِنْتَ الْخَالِ و الْخَالَةِ و تَحْرِيم:-مَا فَرَّطت فِيهِ الْيَهُودُ مِنْ إِبَاحَةِ بِنْتِ الْأَخِ و الْأُخْتِ

(ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ)قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية،

و أما غيره عليه الصلاة و السلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة

(و) أحللنا لك (وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)بمجرد هبتها نفسها

(إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا)هذا تحت الإرادة و الرغبة

(خَالِصَةً لَّكَ)يَحِلُّ لَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ إِذَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ إِنْ شِئْتَ

-البخاري٥٠٣١ -عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا قَالَ:«قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»(١)

(مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)إباحة الموهبة و أما المؤمنون،فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة بمجرد هبتها نفسها لهم

(قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ)

قد علمنا ما على المؤمنين مِنْ حَصْرِهِم فِي أَرْبَعِ نِسْوَةٍ حَرَائِرَ و مَا شَاءُوا مِنَ الْإِمَاءِ

وَ اشْتِرَاطِ الْوَلِيِّ و الْمَهْرِ و الشُّهُودِ عَلَيْهِمْ و هُمُ الْأُمَّةُ و قَدْ رَخَّصْنَا لَكَ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ نُوجِبْ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْهُ

(لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ)لئلا يضيق صدرك في نكاح مَن نكحت من هؤلاء الأصناف–

و هذا من زيادة اعتناء اللّه تعالى برسوله ﷺ و تكريمه له

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)و كان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين

(رَّحِيمًا)بالتوسعة عليهم–لم يزل متصفًا بالمغفرة و الرحمة و ينزل على عباده من مغفرته و رحمته، و جوده

و إحسانه، ما اقتضته حكمته، و وجدت منهم أسبابه(٥٠)

---

١ (امرأة) هي خولة بنت حكيم وقيل أم شريك الأزدية رضي الله عنهما.(وهبت لك من نفسي) جعلت أمري إليك إن شئت تزوجتني وإن شئت زوجتني لمن رأيت(بما معك من القرآن) على أن تعلمها ما تحفظ من القرآن]

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ
ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ
حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ
إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ
وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ
وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ
أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾

الصحيح المسند من أسباب النزول:صحيح البخاري٤٧٨٨ -عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ أَقُولُ أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟»فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ)قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ

(تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ)تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، و لا تبيت عندها-مِنَ الْوَاهِبَاتِ أَنْفُسهنَّ ***مِنْ أَزْوَاجِك، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَ الْقَسْم لَهُنَّ، فَتُقَدِّمْ مَنْ شِئْتَ، وَ تُؤَخِّرْ مَنْ شِئْتَ، وَ تُجَامِعْ مَنْ شِئْتَ، وَ تَتْرُكْ مَنْ شِئْتَ.

(وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ)تضمها و تبيت عندها(و) مع ذلك لا يتعين هذا الأمر-مَنْ شِئْتَ قَبِلْتَهَا، و مَنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا، و مَنْ رَدَدْتَهَا فَأَنْتَ فِيهَا أَيْضًا بِالْخِيَارِ بعد ذلك،إن شِئْتَ عُدْتَ فِيهَا فَآوَيْتَهَا؛

(وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ)أن تؤويها(مِمَّنۡ عَزَلۡتَ)و مَن طَلَبْتَ ممن أخرت قَسْمها(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ)فلا إثم عليك في هذا

(ذَٰلِكَ)التخيير–التوسعة عليك، و كون الأمر راجعًا إليك و بيدك و كون ما جاء منك إليهن تبرعًا منك

(أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ)أقرب إلى أن يفرحن و لا يحزنَّ(وَيَرۡضَيۡنَ)كلهن (بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ) قسمت لهنَّ-لعلمهن أنك لم تترك واجبًا، و لم تفرط في حق لازم.

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ)مِنَ الْمَيْلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ، مِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ–ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة و المستحبة و عند المزاحمة في الحقوق فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول اللّه، لتطمئن قلوب زوجاتك(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا)بِضَمَائِرِ السَّرَائِرِ (حَلِيمٗا)لا يعجل بالعقوبة على من عصاه﴿٥١﴾

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾زوجاتك الموجودات﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ ﴾و لا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها فحصل بهذا، أمنهن مـــــن:–

١–الضـــــرائر٢–و من الطـلاق لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا و الآخرة لا يكون بينه و بينهن فرقة.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾حسن غيرهن فلا يحللن لك﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ ﴾السراري فذلك جائز لك لأن المملوكات، في كراهة الزوجات لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾مراقبًا للأمور و عالمًا بما إليه تؤول و قائمًا بتدبيرها على أكمل نظام و احكام.

*البخاري ٤٠٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﷜ قَالَ:قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷜وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ:
فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ:{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}[البقرة: ١٢٥]وَ آيَةُ الحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ،فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَ الفَاجِرُ،فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ وَ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺفِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ:(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ "
وَ كَانَ وَقْتُ نُزُولِهَا فِي صَبِيحَةِ عُرْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، الَّتِي تَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى تَزْوِيجَهَا بِنَفْسِهِ، وَ كَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ ﴿٥٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾حظر عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِغَيْرِ إِذْنٍ، كَمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَصْنَعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ حَتَّى غَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ-البخاري ٥٢٣٢ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟
قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»ثُمَّ اسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:-

﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام.

﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾منتظرين و متأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه-لَا تَرْقُبُوا الطَّعَامَ حَتَّى إِذَا قَارَبَ الِاسْتِوَاءَ تَعَرَّضْتُمْ لِلدُّخُولِ،فَإِنَّ هَذَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَ يَذُمُّهُ. وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّطْفِيلِ، و المعنى:لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:– ١–الإذن لكم بالدخول٢–و أن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ ﴾مسلم(١٤٢٩)عَنِ ابْنِ عُمَرَ﷛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا

﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ ﴾أكلتم فانصرفوا﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾قبل الطعام و بعده.
كَمَا وَقَعَ لِأُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اسْتَرْسَلَ بِهِمُ الْحَدِيثُ و نسوا أَنْفُسَهُمْ، حَتَّى شَقّ ذَلِكَ عَلَى الرَسُولِ ﷺ

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ﴾انتظاركم الزائد على الحاجة﴿كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ ﴾يتكلف منه و يشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته و اشتغاله فيه ﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾أن يقول لكم: « اخرجوا » كما هو جاري العادة:–
أن الناس —و خصوصًا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم،

(و)لكن ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾فالأمر الشرعي و لو كان يتوهم أن في تركه أدبا و حياء فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي و أن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء.و اللّه تعالى لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم و الرفق لرسوله كائنًا ما كان.فهذا أدبهم في الدخول في بيوته،

﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا ﴾و إن احتيج إليه، كأن يسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها،

﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ﴾فإنهن يُسْأَلْنَ ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ﴾أي: يكون بينكم و بينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه. فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، و كلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره اللّه،

ثم ذكر حكمة ذلك بقوله:﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء و للنساء في أمر الرجال[[فالرؤية سبب الفتنة]] لأنه أبعد عن الريبة و كلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر[[فإنه أسلم له، و أطهر لقلبه]]

فلهذا من الأمور الشرعية التي بين اللّه كثيرًا من تفاصيلها،أن جميع وسائل الشر و أسبابه و مقدماته، ممنوعة و أنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة و قاعدة عامة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ﴾يا معشر المؤمنين أي: غير لائق و لا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء ﴿أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به،

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ ﴾ هذا من جملة ما يؤذيه:-

١-فإنه ﷺ له مقام التعظيم، و الرفعة و الإكرام، و تزوج زوجاته بعده مخل بهذا المقام.

٢-و أيضا فإنهن زوجاته في الدنيا و الآخرة و الزوجية باقية بعد موته فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾و قد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر و اجتنبت ما نهى اللّه عنه منه ٥٣

﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا ﴾تظهروه ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾يعلم ما في قلوبكم، و ما أظهرتموه، فيجازيكم عليه-أَيْ: مَهْمَا تُكِنُّهُ ضَمَائِرُكُمْ وَ تَنْطَوِي عَلَيْهِ سَرَائِرُكُمْ

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غَافِرٍ: ١٩] ٥٤

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ
وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ
فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾
مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾
سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾

(لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ)في عدم الاحتجاب عنهم.

(فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ)
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:عَنِ الشَّعْبِيِّ وَ عِكْرِمَةَ فِي الاية قُلْتُ: مَا شَأْنُ الْعَمِّ وَ الْخَالِ لَمْ يُذْكَرَا؟ قَالَا هُمَا يَنْعَتَانِهَا لِأَبْنَائِهِمَا وَ كَرِهَا أَنْ تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَ خَالِهَا وَ عَمِّهَا.

(وَلَا نِسَآئِهِنَّ)

لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن أي: اللاتي من جنسهن في الدين فيكون ذلك مخرجًا لنساء الكفار،

(وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ)أرقاءهن مِنَ الذُّكُورِ وَ الْإِنَاثِ كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، وَ إِيرَادُ الْحَدِيثِ فِيهِ

-أبي داود ٤١٠٦ -عَنْ أَنَسٍﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺأَتَى فَاطِمَةَ بِعَبْدٍ كَانَ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا قَالَ:وَ عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثَوْبٌ، إِذَا قَنَّعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَ إِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺمَا تَلْقَى قَالَ:-«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكِ بَأْسٌ، إِنَّمَا هُوَ أَبُوكِ وَ غُلَامُكِ»

و لما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه و في غيره، لزوم تقوى اللّه و أن لا يكون في محذور شرعي

فقال: (وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ)استعملن تقواه في جميع الأحوال (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا)

يشهد أعمال العباد، ظاهرها و باطنها، و يسمع أقوالهم، و يرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك﴿٥٥﴾

(إِنَّ ٱللَّهَ) تعالى(وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ)صَلَاةُ اللَّهِ:- ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَ صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) ١-اقتداء باللّه و ملائكته٢-و جزاء له على بعض حقوقه عليكم٣-و تكميلا لإيمانكم٤-و تعظيمًا له ﷺ٥-و محبة و إكرامًا٦-و زيادة في حسناتكم٧-و تكفيرًا من سيئاتكم و أفضل هيئات الصلاة عليه ﷺ ما علم به أصحابه:

« اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ٥٦

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ)

و هذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية من:-سب و شتم، أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى.

(لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا)أبعدهم و طردهم، و من لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، و آذاه.

(وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا)

جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه - ﷺ- لا يؤمن العبد باللّه، حتى يؤمن برسوله ﷺ و له من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره.

و إن كانت أذية المؤمنين عظيمة، و إثمها عظيمًا٥٧

لذا قال(وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ)بغير جناية منهم موجبة للأذى

(فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ)على ظهورهم

(بُهۡتَٰنًا)حيث آذوهم بغير سبب-فقد ارتكبوا أفحش الكذب و الزور(وَإِثۡمًا مُّبِينًا)و أتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة حيث تعدوا عليهم و انتهكوا حرمة أمر اللّه باحترامها٥٨

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

هذه الآية التي تسمى آية الحجاب فأمر اللّه نبيه، أن يأمر النساء عمومًا، و يبدأ بزوجاته و بناته لأنهن آكد من غيرهن و لأن الآمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله قبل غيرهم كقوله(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

أن(يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ)الْجِلْبَابُ هُوَ: الرِّدَاءُ فَوْقَ الْخِمَارِ

○ثم ذكر حكمة ذلك فقال: (ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ) دل على وجود أذية، إن لم يحتجبن

و ذلك لأنهن إذا لم يحتجبـــــــن:-

١-ربما ظن أنهن غير عفيفات فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن

٢-و ربما استهين بهن، و ظُن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)لِمَا سَلَفَ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ عِلْمٌ بِذَلِكَ٥٩

(۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)مرض شك أو شهوة (وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ)

المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم و قوتهم، و ضعف المسلمين.

و لم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه ليعم ذلك كل ما توحي به أنفسهم إليهم و توسوس به من الشر مـــن:-

١-التعريض بسب الإسلام و أهله٢-و الإرجاف بالمسلمين و توهين قواهم

٣-و التعرض للمؤمنات بالسوء و الفاحشة

(لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ)

نأمرك بعقوبتهم و قتالهم و نسلطك عليهم ثم إذا فعلنا ذلك لا طاقة لهم بك و ليس لهم قوة و لا امتناع

(ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ)لا يجاورونك في المدينة (إِلَّا قَلِيلًا)بأن تقتلهم أو تنفيهم٦٠

(مَّلْعُونِينَ)مبعدين(أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟)

أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن و لا يقر لهم قرار يخشون أن يقتلوا أو يحبسوا أو يعاقبوا

(أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا)لذلتهم و قلتهم٦١

(سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ)

أن من تمادى في العصيان و تجرأ على الأذى، و لم ينته منه فإنه يعاقب عقوبة بليغة.

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا)تغييرًا بل سنته تعالى و عادته جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها٦٢

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣
إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥
يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ
فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢
لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣

(يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ)١-استعجالا لها٢-و بعضهم تكـذيبًا لوقوعها٣-و تعجيزًا للذي أخبر بها.

(قُلۡ)لهم(إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ)لا يعلمها إلا اللّه، فليس لي، و لا لغيري بها علم و مع هذا، فلا تستبطؤوها.

(وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)و مجرد مجيء الساعة، قرباً و بعدًا، ليس تحته نتيجة و لا فائدة٦٣

(إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)الذين صار الكفر دأبهم و طريقتهم الكفر باللّه و برسله و بما جاءوا به من عند اللّه فأبعدهم في الدنيا و الآخرة من رحمته و كفى بذلك عقابًا(وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا)نارًا موقدة، تسعر في أجسامهم٦٤

(خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ)و يخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، و لا يُفتَّر عنهم ساعة.

و (لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا)فيعطيهم ما طلبوه(وَلَا نَصِيرٗا)يدفع عنهم العذاب بل قد تخلى عنهم الولي النصير٦٥

و أحاط بهم عذاب السعير و بلغ منهم مبلغًا عظيمًا(يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ)فيذوقون حرها و يشتد عليهم أمرها، و يتحسرون على ما أسلفوا-يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ-وَ تُلْوَى وُجُوهُهُمْ عَلَى جَهَنَّمَ يَقُولُونَ وَ هُمْ كَذَلِكَ(يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠)فسلمنا من هذا العذاب و استحققنا كالمطيعين جزيل الثواب و لكن أمنية فات وقتها فلم تفدهم إلا حسرة و ندمًا، و همًا، و غمًا، و ألمًا٦٦

(وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا)الاشراف-الْأُمَرَاءُ(وَكُبَرَآءَنَا)الْعُلَمَاءَ--لِكُبَرَاءُ مِنَ الْمَشْيَخَةِ-قلدناهم على ضلالهم

(فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠)﴿٦٧﴾و لما علموا أنهم هم و كبراءهم مستحقون للعقاب أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم

قالوا:–(رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ)بِكُفْرِهِمْ وَ إِغْوائِهِمْ إِيَّانَا فيقول اللّه لكل ضعف فكلكم اشتركتم في الكفر و المعاصي فتشتركون في العقاب و إن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.

(وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا)اطردهم من رحمتك طردًا شديدًا-و في هذا دليل على :-

١-أن طاعة غير الله في مخالفة أمره و أمر رسوله موجبة لسخط الله و عقابه،

٢-و أن التابع و المتبوع في العذاب مشتركون فليحذر المسلم ذلك.

البخاري٣٤٠٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ:-إِمَّا بَرَصٌ وَ إِمَّا أُدْرَةٌ وَ إِمَّا آفَةٌ، وَ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا،وَ إِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَ طَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَ أَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَ قَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَ طَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) ﴿٦٨﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ)يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم محمد ﷺالنبي الكريم الرؤوف فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام و الاحترام و أن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى عليه السلام

(فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ)من الأذية أى: أظهر اللّه لهم براءته و الحال أنه عليه السلام، ليس محل التهمة و الأذية

(وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا)عظيم الجاه فإنه كان وجيها عند اللّه مقربًا لديه من خواص المرسلين و من المخلصين

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-كَانَ مستجابَ الدَّعْوَةِ عِنْدَ اللَّهِ

وَ قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ:-لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَ لَكِنْ مُنِعَ الرُّؤْيَةَ لِمَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:-مِنْ وَجَاهَتِهِ الْعَظِيمَةِ:أَنَّهُ شَفَعَ فِي أَخِيهِ هَارُونَ أَنْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ مَعَهُ فَأَجَابَ اللَّهُ سُؤَالَهُ﴿٦٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر و العلانية،

(وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا)و يخص منها و يندب للقول السديد و هو القول الموافق للصواب أو المقارب له

عند تعذر اليقين من:- ١–قـراءة و ذكر ٢–و أمر بمعروف ٣–و نهـــــي عن منكر

٤–و تعـــــلم علم و تعليمه ٥–و الحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية

٦–و سلوك كل طريق يوصل لذلك و كل وسيلة تعين عليه

و من القول السديد:–٧–لين الكلام و لطفه في مخاطبة الأنام

٨–و القول المتضمن للنصح و الإشارة بما هو الأصلح﴿٧٠﴾

ثم ذكر ما يترتب على تقواه و [قول القول السديد]فقال:(يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ)يكون ذلك سببًا لصلاحها،

و طريقًا لقبولها،لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى:- (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) و يوفق فيه الإنسان للعمل الصالح و يصلح اللّه الأعمال أيضًا بحفظها عما يفسدها و حفظ ثوابها و مضاعفته كما أن الإخلال بالتقوى و القول السديد سبب لفساد الأعمال و عدم قبولها و عدم تَرَتُّبِ آثارها عليها.

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ)أيضًا (ذُنُوبَكُمْ)التي هي السبب في هلاككم فالتقوى تستقيم بها الأمور و يندفع بها كل محذور و لهذا قال: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)٧١

(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ)يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن اللّه عليها المكلفين التي هـي:-١-امتثـال الأوامر٢-و اجتنـــاب المحارم في حال السر و الخفية كحال العلانية

- و أنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة:-السماوات و الأرض و الجبال عرض تخيير لا تحتيم
- و أنك إن قمت بها و أدَّيتِهَا على وجهها:- فلك الثـــواب
- و إن لم تقومي بها،و لم تؤديهـــــا:-فعليك العقـــاب.

(فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، و لا زهدًا في ثوابه (وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ)عرضها اللّه على الإنسان على ذلك الشرط المذكور فقبلها و حملها مع ظلمه و جهله و ضعفه و حمل هذا الحمل الثقيل.

(إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)إنه كان شديد الظلم و الجهل لنفسه

- فانقسم الناس - بحسب قيامهم بها و عدمه- إلى ثلاثة أقسام:-

١-منـافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا ٢-و مشركون تركوها ظاهرًا و باطنًا

٣-و مؤمنـون قائمون بها ظاهرًا و باطنًا ٧٢

(لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ)إنَّما حَمَلَ ابْنُ آدمَ الْأَمَانَةَ و هِيَ التَّكَالِيفُ لِيُعَذِّبَ اللهُ (ٱلْمُنَٰفِقِينَ)مِنْهُمْ (وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ)وَ هُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ خَوْفًا مِنْ أَهْلِهِ وَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ مُتَابَعَةً لِأَهْلِهِ (وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ)وَ هُمُ الَّذِينَ ظَاهِرُهُمْ وَ بَاطِنُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ وَ مُخَالَفَةِ رُسُلِهِ. (وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ)لِيَرْحَمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)و كان الله غفورًا للتائبين من عباده(رَّحِيمًا)بهم٧٣